

حائية الشاعر محمد المصطفى بلاري في رثاء الشيخ أبي الفتح مَيْدُغُرِي: دراسة أدبية

إعداد:

ناصر بلاري

كلية الشيخ بلاري غسو التذكارية غسو، ولاية زفرا

المقدمة

الحمد لله القائل: "كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد القائل: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون^٣ وبعد:

إن الموت خطب جلل، ومصيبة عظمي التي تنغص العيش وتضييق الصدر، وتثير القلق، فَجْعَل الرثاء على الميت ليهون ألم الفراق، ويطمئن القلب، ويخفف رعبة الفجئنة، لفقد الأليف من الإخوة أو الأهل. كما يصف الشاعر هوله وفجئته بقوله:

وما الموت إلا سارق دق شخصه * يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

وقد اتخذ الأدباء الرثاء وسيلة في التسلية عن المصيبة قديما وحديثا حتى قرضوا قصائد ودواوين في هذا الغرض. ولم يتغافل شعراؤنا النيجيريون عن هذا النوع الشعري فأظهروا براعتهم فيه وأحسنوا وأجادوا ليرزوا أن الشعر موهبة إلهية يخص بها من يشاء بغض النظر عن أصله أو بيئته. وتحتوي المقالة على عرض النقاط التالية:-

١. المقدمة
٢. التعريف بالرثاء.
٣. حياة الشاعر.
٤. نص القصيدة المختارة.

٥. القيم الفنية في القصيدة

٦. الخاتمة والمصادر مع المراجع.

التعريف بالرثاء:

الرثاء في اللغة: مصدر لفعل رثى يَرثِي من باب ضرب يضرب، يقال رثيت الميت رثيا ورثاء ومرثاة ومرثية، بكاه بعد موته وتعدد محاسنه، وإن مدحه بعد موته يقال: رثاه يرثيه ترثية.^٤

وفي الاصطلاح: تعداد مناقب الميت شعرا، وإظهار التفجع والتلهف عليه واستعظام المصيبة والحزن عليها، وإظهار هذه الحقيقة بصدق العاطفة، ووصف دقيق يليق بالمصيبة والمصاب، مثال ذلك قول الخنساء^٦ في بائيتها ترثي بها أخاها صخرا:٥

يا لهف نفسي على صخر إذا ركبت * خَيْلٌ لخيْل تُنادي ثم تضطرب
قد كان حصنا شديد الركن ممتنعا * ليثا إذا نزل الفتيانُ أو ركِبُوا

وللرثاء ثلاثة عناصر: الندب، والتأبين، والعزاء.

وقد مر الرثاء بعصور مختلفة تطورا وازدهارا لأسباب مطابقة للظروف، ومن بواعثه في العصر الجاهلي ذكر الويلات، واللهفات، وضرب الخدود، وشق الجيوب. ويتبين ذلك ما حدث للمهمل بن ربيعة لما قُتل أخوه الملك كليب بن ربيعة. حيث يقول:

دعوتك يا كليب فلم تجبني * وكيف يجيبني البلد القفار
سقاك الغيث إنك كنت غيثا * ويسرا حين يلتمس اليسار

فالرثاء في هذا العصر يمتاز بصدق العاطفة، ورقة الإحساس والتصبر والتجلد، ويأخذ الرثاء هذا الدرب في العصر الإسلامي والأموي، لكن يمتاز فيهما ظهور معالم إسلامية في العقائد الدينية، لأن رسول الله عليه السلام نهاهم عن الأفعال التي تخالف الشرع، حتى ازدهر في العصر العباسي والأندلسي برثاء المدن والبلدان والحيوانات المستأنسة.^٧

وفي العصر الحديث استمر الرثاء غرضا مستقلا خاصة رثاء الزعماء وقادة الفكر والحركات الإصلاحية فكانت فرصة لتجسيد المعاني الوطنية والسياسية والدينية.

أما في الشعر العربي النيجيري فيعد الرثاء من أكثر الفنون الشعرية حظا في الشعر العربي القديم، إذ قل من لم يقرض من بين شعراء المنطقة، كما يقول غلادني: إذ يصف وضع الفنون الشعرية في الأدب العربي النيجيري خلال القرن التاسع عشر الميلادي: "وكان الشعراء يسرون على نفس الدرب التقليدي في رثائهم يذكرون الموت وغدره، ويذمون الدنيا وغرورها، فهي دار فناء، ولا يصفو فيها العيش، ولا يرتاح فيها البال، وبشرون كذلك إلى محاسن الميت يصفونه بالعلم والتقوى، وبالكرم والشجاعة، ومساعدة الضعفاء. وغير ذلك من الأوصاف التي يستحسنونها". والظاهر أن فن الرثاء في نيجيريا في الفترة القديمة كان أكثر من المدح، فلا يموت عالم أو أمير مشهور إلا أطلق الشعراء ألسنتهم، ونظموا قصائد ومقطوعات يرثون بها الميت. ٨

ومن المؤكد أن الشعر العربي النيجيري القديم له صلة متينة ووطيدة بالشعر الجاهلي لا من حيث الأسلوب والأخيلة والصور فحسب، بل من حيث الموضوعات والأغراض كذلك، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تأثر هؤلاء بالشعراء القدامى، إذ لم يتغير إلا تغيرا طفيفا وجزئيا اقتضته طبيعة التغير الذي حوِّث في العقيدة. ٩

فصار الشعر العربي النيجيري على هذا المنوال المعروف حتى أوائل القرن العشرين الميلادي حيث دب التغيير في الموضوعات الشعرية نتيجة احتكاك أبناء البيئة ببيئات أخرى في رحلاتهم التعلّميّة، واستقبال العلماء من الخارج ليعلموا أبناء الوطن الثقافة العربية العصرية، والتمدن والحضارة التي عمت أرجاء البلاد، كل هذا مما أحدث التغيير في الرثاء في نيجيريا. ١٠

حياة الشاعر:

هو الأستاذ الأديب محمد المصطفى بن الشيخ محمد بلاري بن العالم عبد القادر الملقب ب(مَالَم كَادُوا) بن محمد طن دُدُوري. ولد السيد محمد المصطفى بمدينة غسو ولاية زمفرا نيجيريا في بيت والده الشيخ محمد بلاري الذي اشتهر بكرم الأصل والأدب والعلم والعفة بل هو علامة في العلم ونشره، والدين وثقافته. وكانت ولادته يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ألف وثلاثمائة واثنين وتسعين هجرية: ١٣٩٢/١١/٢٩ هـ الموافق: ١٩٧١/١٢/٣١ ميلادية. ١١

نشأ وترعرع تحت رعاية أبويه الكريمين، وبدأ تعلمه منذ نعومة أظفاره في مدرسة والده المسماة: مدرسة حزب الرحيم تلامذة الشيخ إبراهيم. وشمر السيد محمد المصطفى على مساعد الجد والمواظبة لتحصيل العلوم الدينية واللغوية والأدبية حتى حفظ القرآن الكريم وصار ممن شاء الله أن يشار إليه بالبنان في البيان. والشعر عنده موهبة و وراثية، ولم يدرس الشاعر في مدرسة ولا معهد آخر إلا في هذه المدرسة حيث أنه الآن أحد علمائها الكبار، ولا غرو في ذلك لأن هذه المدرسة معهد كبير، وقد تخرج فيها عدد غفير من العلماء المتفنين في ميادين مختلفة منهم: الفقهاء والأدباء وحفظة القرآن الكريم، وفي مجال الأدب أخذوا قسطا وافرا من الشعر ولا تفوتهم فرصة قرض الأشعار كلما حلَّ ضيف كريم في هذه الزاوية من الترحيب والمدح له. ١٢

وله إنتاجات كثيرة في مختلف الأغراض الشعر العربي، ودواوين متعددة أكثرها في المدح، والرثاء، ثم الترحيب، وأخرى في بقية أغراض الشعر في المناسبات كالرحلات، والوصف، والتعليم، وغير ذلك.

ومن إنتاجاته الشعرية ما يلي:

١. ديوان اليواقيت والمرجان في المرثي الحسان، مجموع قصائد الديوان خمس وعشرون قصيدة، وعدد أبياته تسعمائة وأربعة أبيات.
٢. منظومة مسرة الخواطر في تاريخ الشيخ محمد بلاري بن عبد القادر، وعدد أبياتها ثمان مائة وثلاثة وخمسون بيتا.
٣. منظومة مسرة العيون في تاريخ الشيخ بلاري بن هارون. عدد أبياتها مائتان واثنان وتسعون بيتا.
٤. ديوان تصفية الألباب في مدح لب اللباب. وعدد أبياته: أربعمائة وستة عشر بيتا.
٥. ديوان نزهة العاشقين في مدح خير العالمين. وعدد أبياته ثمان مائة وأحد عشر بيتا.

عرض القصيدة:

القصيدة حائية القافية وردت في (٧٤) بيتا على بحر البسيط، قالها الشاعر يرثي الشيخ أحمد علي أبا الفتح البرواوي، وهي إحدى قصائد الشاعر التي وردت في ديوانه "اليواقيت والمرجان في المراثي الحسان" ومطلعها:

الشمس قد كسفت والناس في ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح

ومقطعها:

صلى وسلم للهادي وعترته * ربُّ هداني إلى إنشاءِ ذَا المَدَحِ

التحليل الأدبي للقصيدة:

الفكرة

الفكرة وهي أفكار جزئية بنى الشاعر النص عليها وقسمها الباحث إلى ما يلي:

وصف هول الحادثة وعظم المصيبة. وذلك في قوله:

الشمس قد كسفت والناس في ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح

وأظلم الأفق والأقمار قد خسفت * والأنجم الزهر قد آلت إلى المسح

بين الشاعر الحال التي آلت إليها الدنيا من كسوف الشمس، وتحير الناس وظلام الأفق، وخسوف القمر والنجوم وغير ذلك من الأمارات المفزعة التي توحى بحلول آخر ماتوقعه الإنسان من المصائب والمخاوف والبلبات التي تتمثل في تغيير كل شيء حتى صار كأنه القيامة التي وصفها الله في قوله: "إذا الشمس كورت ﴿١﴾ وإذا النجوم انكدرت ﴿٢﴾" ١٣

مثل هذه الفزعات هي ما يمثله الشاعر في هذه الأبيات، ذلك بأن موت العالم ثلثة في الإسلام، وهذا يكفي ليصور فزع الشاعر وانزعاجه لهذه الملمة.

ثم شرع الشاعر بوصف المتوفى بأخلاق نبيلة، ومكانة إجتماعية، والتمسك بالمعالم الدينية.

فقال: ١٤

طابت خلانقه نَمَّتْ مكارمه * فاقت سجاياه عن ذكر وعن مدح

جمت خوارقه زادت عجائبه * أعظم بهذا الهمام العَيْلَمِ السمح

يصف الشاعر المتوفى بأوصاف حسنة، بأنه ذو كرمٍ وخلقٍ حسنٍ وعالمٌ جليلٌ وقائدٌ متينٌ، حتى وصف الشاعر بأن لا مثيل له بين أقرانه من الشيوخ وأولياء الله لمدامته لذكر الله ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما أن المتوفى قضى نحبه في حادث سيارة، وصف الشاعر الحادثة وصفاً دقيقاً بذكر سبب الرحلة التي كان المتوفى فيها، ومكان الحادث والزمن في دقة متناهية ليتمشى مع القارئ ويكسب قلبه فيرثي لحاله. وذلك في قوله:

توفي الشيخ يوم الأربعاء ضحى * بخطر سيارة ويلى بدا الفدح
بقرب (جَمَّارِي) قد وافت منيته * (يَاكِّ) صَفْرُ أنيل الشيخ بالفرح

تأبَّن الشاعر على هذه المصيبة العظمى، لفقد عزيز ذي منزلة في عشيرته أو مجتمعه، مع تعداد الخصال وإزجاء الثناء على الميت. كما أثبت الشاعر ذلك في قوله:

فموت ذا الشيخ موت لا مثيل له * وإنه عالمي دونما منـح

بعد ذلك شرع الشاعر بتقديم تعزيتته إلى كافة من ينتمي إلى الفقيد من أهل وولد ومريد. فقال:

إني أعزى جميع المسلمين كذا الـ * تجانيين لفقد الهيكل السمح
إني أعزى كذا أهلاً لفيضتنا الـ * غر المشائخ أهل العفو والصفح
ثم اختتم هذه القصيدة بالدعاء للمتوفى والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
يارب بالمصطفى المختار سيدنا * فاغفر لشيخنا العلي جبي أبي الفتح
صلى وسلم للهادي وعترته * ربُّ هداني إلى إنشاءِ ذا المَدَحِ

الصور الفنية:

العاطفة

إن العاطفة: عنصر هام من عناصر الأدب، وهي: "تلك الدواعي التي تدفع الشاعر إلى التعبير عما يختلج في صدره من طمع وغضب وشوق ووفاء وغير ذلك". وعرفها الدكتور شوقي ضيف: "بأنها حالة وجدانية يشترك الناس فيها جميعاً فيما يسمونه حزناً أو فرحاً أو خجلاً، وما إلى ذلك" ١٥ وعاطفة الشاعر ظاهرة جليلة بأنها عاطفة حزن وأسف وشجون أثارها موت عالم ذي قدر عظيم عند الشاعر، كما ظهر في قوله:

الشمس قد كسفت والناس في ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح

وصف الشاعر إحساسه حال موت هذا العالم وما حرك فيه من عاطفة جياشة تأثراً بذلك، وقد وافق الشاعر في هذا المطلع طريق القدامى في مراثيمهم، لشدة تأثره بهم، فكثيراً ما يصفون الأفق بالظلام وأن ذلك الظلام حدث من أجل الكارثة التي وقعت، كقول الخنساء ترثي زوجها مزداًسا:

لما رأيت البدر أظلم كاسفا * أرنَّ شواذَّ بطنه وسوائله ١٦

تخيلت الخنساء أن البدر خسف لموت زوجها وهكذا الشاعر أيضاً تخيل خسف الأقمار بموت هذا العالم، فالدنيا كلها صارت في عينه ظلاماً في ظلام. فقال:

الشمس قد كسفت والناس في ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح

ولا غرابة في كون عاطفته صادقة، بل لا يحتاج ذلك إلى مبرر، لأن العلاقة بينه وبين المرثى علاقة أخروية لادنوية وهي مما لا يتواطأ عليه الكذب. ونجد مثل ذلك أيضاً في قوله:

وأظلم الأفق والأقمار قد خسفت * والأنجم الزهد قد ألت إلى المسح

وواصل الشاعر يتخيل القمر بالانحماق والأفق بالظلام والأنجم بالاضمحلال لعظم هذه الملمة في عينه، وما من شك أن هناك صدق عاطفة وراء كل هذه التعبيرات، وحرارة انفعال تحرك وجدانه، وتعبيراً قويا عن هذا الانفعال، بالتعليل المفزع، وما يوحيه من جفاف، غير أن التعبير على كل حال موح بما وراءه.

الخيال:

وأما الخيال عند النقاد: فهو القوة في تجسد المعاني والأشياء والأشخاص وتمثلها أمام الجمهور حتى تثير المشاعر وتهيج الإحساس وهو أساس في الأدب. فقد حصر النقاد مرائع للخيال يعتمد عليها الأديب في بناء عمله الأدبي. ١٧

ولما التفت الباحث إلى صنع الخيال في القصيدة وجد أن الشاعر اصطنع صنعا جيدا مفعما بالحيوية الخيالية في رسم الصور خاصة عند استهلال القصيدة إذ يقول:

الشمس قد كسفت والناس في تح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح
وزلزلت أرضنا من بعد ما اضطربت * بموت سيدنا شيخي أبي الفتح

فقد أخذ الشاعر صورة من البيئة ليصور أحزانه وأحواله التي يرثى لها في موت مفزع حرك شعوره وأحزانه، وجعل الجوَّ مسودًا في عينيه حتى كأن نور الشمس تبدل إلى ظلام، ونور القمر والنجوم كذلك، ليصور القارئ كيف تكون الدنيا بدون نور الشمس والقمر والنجوم؟ فبي ظلمات يتخللها خوف وعدم الاستقرار والأحزان المتسلسلة والتمنيات اللانهائية. فهكذا وجد الشاعر نفسه، إلا أنه لا يستطيع جعل القارئ يدرك كنه ما يشعره إلا برسم خيال واسع يكفي لتصوير ذلك فاستخدم تلك الصور من الشمس التي ذهب نورها والقمر حال خسوف ضوءه والنجوم عندما لم تعد متألثة.

ومن الصنعة الخيالية في القصيدة ما لاحظته الباحث عندما أراد الشاعر أن يخبر بموت المتوفى فإنه لم يسرد ذلك سردًا مباشرًا لمعرفته بقيمة الميت لدى القراء والمستمعين فلم يرد إفزاعهم من جديد ولم يَرِ وسيلة لذلك إلا أن يرسم صورة من كناية لطيفة. فقال:

وقد أجاب نداءه وهو متجه * إلى مدينته ويلى بذا الترح

فقول الشاعر: "وقد أجاب نداءه" كناية عن الوفاة لأن الميت لم يناده أحد بل وصل إلى نهاية أجله ف قضى نحبه. كما قال تعالى: "الله يتوفى الأنفس حين موتها" ١٨ والوفاة ليست تلبية لنداء، وإلا لأبى أحد التلبية، بل إن الله سبحانه وتعالى هو من يرسل ملكا ليقبض روح الإنسان فيموت، يقول تعالى في ذلك: "قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم" ١٩ والملك نفسه لا ينادي بل هو عارف بعمله وأجال الناس. فلاذ الشاعر بهذا التعبير الكنائي عن التعبير الصريح فقال: "أجاب نداءه" بدل أن يقول "مات" أو "توفي". ونجد مثل ذلك أيضا عند قوله: "أظلم الأفق" هذا مجاز مرسل، لأن الأفق لا تظلم بنفسها فالله هو من يجعلها مظلمة بمشيئته، لكن الشاعر تخيلها مظلمة بنفسها مجازا. ومثله في قوله: "قد مات هادي البرايا" فنسب الهداية له مجازًا.

الألفاظ:

ولما التفت الباحث إلى الألفاظ وجد أن الشاعر أجاد في اختيار الملائمة منها للجوِّ وبناء التراكيب الجيدة في روعةٍ وجمالٍ. فكان يضع الألفاظ الملائمة لغرضه في دقة متناهية. ومن أمثلة ذلك اختياره لفظ القرم في قوله:

والشيخ أحمد يرو القرم ذو مدد * ذو العلم والسر والمعرفان والمنح

استخدم الشاعر لفظة "القرم" التي تكون معناها: السيادة بالقوة والكفاءة التي يقدر بها على حمل الأعباء، لأن أصل الكلمة في اللغة: البعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل. فاستخدم الشاعر هذه اللفظة (القرم) بدل غيرها مثل: "السيد" وغيرها التي لا توحى بهذا المعنى. ومن ذلك أيضا قوله يصف خصال الممدوح فأراد أن يذكر للقارئ أنها صفات راسخة في الممدوح غير مكتسبة. يقول في ذلك:

طابت خلانقه نمت مكارمه * فاقت سجايها عن ذكرٍ وعن مدح

استخدم الشاعر لفظ "السجايا" وهي تدل على الخلق الحسنة أو مكارم الأخلاق أو ما يضاهاها من الألفاظ، ذلك لأنه يقصد أن المكارم صارت جبلية للمرثي لا يتعمدها ولا يقوم بها ليكسب قلوب الناس، فاختار الشاعر اللفظة لتأدي هذا المعنى (سجايا) ذلك لأن اللفظة في اللغة تعني الصفات الفطرية في الإنسان ٢٠ التي لا يمكن للإنسان أن يتصنعها ولا أن يغيرها بأخرى، خلاف الأخلاق التي قد تكون نبيلة أو مذمومة وقد تكون مصنوعة تارة أخرى حيث أن الإنسان يكتسبها ويتحاكها ويفرضها على نفسه بالتجربة والمران حتى تكون له خلقا.

ومن أسلوب الشاعر في الألفاظ استخدام المصطلحات وهذا مما حبهه النقاد في الصناعة الشعرية، كما أشار إلى ذلك في قوله:

فالشيخ أحمد يرو القرم ذو مدد * ذو العلم والسر والعرفان والمنح

والشيخ أحمد شيخ لا مثيل له * في الأوليا وهو ساقيمم بلا بجج

وإنه لطريق الختم أحمدنا الـ * تجاني أكبر داع دون ما شطح

وإنه مظهر للغوث سيدنا * محل أنظاره في الليل والصبح

استخدم الشاعر في الأبيات السابقة ألفاظا تعد من المصطلحات الصوفية التي لا يدرك معناها الحقيقية المرادة هنا إلا من ذاق التصوف. مثل: "الشيخ" "المدد" "السر" "العرفان" "الأولياء" "ساقيم" "طريق" "الختم" "الغوثة" "الفيضة" هذه الألفاظ جميعها لها معان خاصة عند الصوفيين بعد هذه المعان اللغوية المعروفة. فمعنى الشيخ عند الصوفية: هو وسيلة صادقة للتقرب إلى الله، وهو المرابي الذي مر بالتجربة وخالف نفسه وانتصر على هواها، والذي يبصر المرید ويلقنه سبيل الرشاد، لكي ينجيه من العوائق والعثرات، حتى يستقيم حاله ويتوجه إلى الله تعالى، وهو أيضا الوسيلة إلى الله تعالى لقوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة). وأما المرید في نظرهم: هو الذي تعلقت إرادته بمعرفة الحق، وقرر سلوك طريق التصوف وانتظم نفسه تحت تربية شيخ الطريقة. فالمرید الحقيقي كما عرفه سيدي محمد الهاشعي، "هو الذي سلم نفسه مباشرة للشيخ المرشد الحقيقي في أثناء سيره إلى حضرة الله تعالى ليسلك به الطريق السوي، إلى أن يقول له: ها أنت وربك." فيصير المرید مرادًا، فإذا بلغ النهاية في سيره وصار في الله بالله لله صار عبدا لله حرًا مما سواه ٢١. وهكذا سائر المصطلحات التي لا يسع المجال بذكرها في المقالة. والسر في استخدامها أن الشاعر صوفي والمتوفي صوفي أيضا، فاستخدم الشاعر هذه المصطلحات لأن كل من يتعلق بالمتوفي صوفي يستطيع الوصول إلى معانيها الخاصة، واستخدام الشاعر هذه الألفاظ يوحي بمعرفته الدقيقة للتصوف وتذوقه ذلك الإتجاه الروحي.

كما أن القصيدة مختلفة أيضا بألفاظ تساند بعضها في تصوير الحالة الواقعة وهي: المصيبة أو الموت. مثل:- "ويلي" "وافت منيته" "طامة كبرى" "داهية" "لهفان" "ذي أسف" "أعزي" "مصيبة" "فقد" وغير ذلك من الألفاظ التي من شأنها أن تأخذ بيد القارئ إلى الغرض حتى إن لم يخبر بذلك. ومنها: استخدام الرموز الحسابية وذلك في مثل قول الشاعر:

بقرب (جَمَّارِي) قد وافت منيته * (بِأَكِّ) صَفَّرَ أُنيْلَ الشَّيْخِ بالفَرْحِ
في عام (كَشْتَدِي) قد عاد الكريم إلى * رضوان مولاه ممنوحا بذالنجح
وعمره (بَفَّ) عام فاعجبنا بها * ناهيك ما ينال فيها الشيخ من ربح
أولاد ذا الشيخ (هَيْنُ) ثم حفدته * (وَيْصُنْ) فلله در القرم ذي السُنْحُ

فهذه الرموز تعني (أَكُّ) أي توفي بواحد وعشرين من شهر صفر. و(كَشْتَدِ) رمز هجري يعني عام ألف وأربعمائة وأربعة وعشرين عاما (١٤٢٤ هـ) و(بَفَّ) له من العمر إثنان وثمانون عامًا. (٨٢). و(هَيْئُ) عدد ابنائه خمسون. (٥٠) و(وَيْصُ) عدد حفدته ستون حفيدا. (٦٠). فهي إذًا تدل على الأرقام الحسابية لتحديد سنة الوفاة وعدد عمره، وأولاده وحفدته.

ويتضح مما سبق أن ألفاظ القصيدة ألفاظا أدبية رائعة، وتتضمن في طياتها شيئاً من الجزالة في موضعه، واللين والسهولة في موضعهما، والمتعة الرموزية أيضا.

التركييب:

وأما ما يمس التراكيب فقد كان الشاعر يبني قصائده في تراكيب قيمة جيدة، بقيم فنية ملموسة. ومن محاسن الشاعر استخدامه الجملة الاسمية والفعلية في الأماكن المناسبة بمنتهى السهولة، ومن استخدامه الجمل الاسمية ليفيد معنى الثبوت والدوام. قول الشاعر:

الشمس قد كسفت والناس في ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح
وأظلم الأفق والأقمار قد خسفت * والأنجم الزهد قد آلت إلى المسح

لما أراد الشاعر أن يثبت للقارئ مدى عظم البلية الواقعة وثبوتها بحيث لا يززعها شيء، استخدم الجملة الاسمية فقال: "الشمس قد كسفت" "الناس في ترح" "الأقمار قد خسفت". هذه كلها جمل اسمية، وهي تفيد الثبوت والدوام. ٢٢

ولما أيقن كسوف الشمس وتحير الناس، وخسوف القمر، واضمحلال النجوم، بحيث لا تراجع بعد الوقوع كما لا تراجع بعد وقوع المصيبة استخدم هذا التركيب ليدرك القارئ بسهولة، فكما أن الموت قد ثبت هكذا هذه الملامح ثابتة. وعندما أراد الشاعر تعداد محاسن الميت التي تتجدد الأحوال استخدم الجملة الفعلية التي وضعت أصلا لذلك. ٢٣

ويدرك القارئ مثل ذلك في قول الشاعر يسأل الله المغفرة والرحمة للميت في ضمن الأبيات قائلا:-

وارحمه يا رب ولتكرم له نزلا * ولتُسقِ قبراً له بأسحب دُلح

فالشاعر يريد أن يسأل الله تعالى الغفران والرحمة المستمرة للميت إلى الأبد، لذا استخدم الجمل الفعلية ليبث ذلك فقال: " ارحمه يا رب " لتكرم له نزلا " لتسقى قبراً له " فاغفر لشيخي " إلخ وقد استخدم الجملة الفعلية لأنه لا يريد انقطاع جميع ما يرجوه للميت بل يريد أن يعيش حياته الأبدية على ذلك لتجدد النعم كلما تجددت الأحوال، وتتجدد المغفرة كلما عثر على زلة له، وتتجدد عليه الرحمة كما نوقش الحساب، ويستمر إلى ذلك أبد الأبدين. كل هذه تدل على الدقة في التعبير.

الموسيقي:

ولما أمعن الباحث النظر إلى الموسيقى أدرك أنها داخلية وخارجية، فوجد في الموسيقى الداخلية، أن الشاعر يكلل أبياته بالجناس حيث يجانس بين الألفاظ ليشكل نغمة موسيقية جذابة. وهذا في مثل قوله: "الكد والكدح" فقد أتى الشاعر بلفظتين تكاد تتفق في اللفظ لكنها تختلف في المعنى فشكلت بذلك نغمة للقارئ.

ومن اهتمام الشاعر بالموسيقى استخدام التصريع، وهو جعل العروض مطابقاً للضرب.

أو هو اتفاق الفاصلتين في صدر البيت أو عجزه كما تجده بحرف الحاء في الأبيات المذكورة ٢٤. ويبرز ذلك في قول الشاعر:

الشمس قد كسفت والناس في ترح * وقد علاهم ضروب الكدِّ والكدح

الموسيقي الخارجية: الوزن والقافية

نظم الشاعر هذه القصيدة من بحر البسيط، وتفعيلاته هي:

"مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ" ٢٥

فالقصيدة من بحر البسيط إلا أن بعض التفعيلات تكون مخبونة لحذف الحرف الثاني الساكن، ويدخل فيه الزحاف (فَاعِلُنْ) فتصير (فَعِلُنْ) أي بعد أن كانت التفعيلة مكونة من سبب خفيف ووند مجموع تصير فاصلة صغرى، في ثلاث متحركات وساكن، ويدخل الخبن أيضاً في

(مُسْتَفْعِلُنْ) فتحذف السين فيكون (مُتَفَعِّلُنْ) وذلك لما كانت التفعيلة مكونة من سببين خفيفين ووتد مجموع صارت مكونة من وتدين مجموعين، وبعبارة أخرى تحول رموزها.

مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفَعِّلُنْ

٠ ١ ١ ٠ ١ ١ ٠ ١ ١ ٠ ١ ١

تقطيع البيت

الشَّمْسُ قَدْ كَسِيفَتْ وَالنَّاسُ فِي تَرَحٍّ * وَقَدْ عَلَاهُمْ ضُرُوبُ الْكَدِّ وَالْكَدَحِ

مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ * مُتَفَعِّلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

سالم مخبون سالم مخبون مخبون سالم مخبون سالم مخبون

وقد لاحظ الباحث أن الشاعر استخدم بحر البسيط في قرص هذه القصيدة، وإن كان الرثاء يحتاج إلى البحور الخفيفة لكونه فنا يتخلله البكاء والتنفس إلا أن السر في ذلك هو أن الشاعر لم يقرض القصيدة حال وفاة الميت بل تمهل حتى هدأ روعه وحزنه، واستطاع أن يتنفس طويلا فقرض القرص على هذا البحر. ٢٦

واختار الشاعر صوت الحاء رويًا للقصيدة وهو صوت مهموس متصف بالرخاء، فاستخدمه الشاعر ليفرج به عن همومه، ويتنفس به في بكائه، وخاصة أن صوت الحاء ليس من الحروف التي أشار النقاد إلى قبح استعمالها رويًا للقصيدة. ٢٧

وبالجملة فالقصيدة على حسب ما مرّ به الباحث تكفي لتكون نموذجًا حيًا للرثاء النيجيري، من حيث الفكرة والعاطفة والأسلوب والخيال والموسيقى لأنها تمشّت مع ما وصفه النقاد في إظهار جودة القصيدة العربية.

الخاتمة

مرّ في السطور السابقة نبذة محتوية على مفهوم الرثاء، ثم حياة الشاعر محمد المصطفى وإنتاجاته الأدبية والعلمية، وعالج الباحث فيها القضايا المتعلقة بالقيم الفنية من العاطفة والخيال ثم الألفاظ والموسيقى، مبينا التعبيرات المستعملة حول هذا الغرض من الرثاء بتوضيح التراكيب المستعملة لهذا الفن بوصف يليق بمصيبة الموت وهولها، وأوضح الباحث فيها وجود فن

الرثاء عبر العصور الأدبية العربية، منذ العصر الجاهلي الذي كان شعرا غنائيا تقليديا على محور واحد حتى العصرين الإسلامي والأموي لم يطرق عليه التغيير، حتى ازدهر في العصر الأموي والعباسي برثاء المدن والحيوانات المستأنسة، وغير ذلك. وتبين لدي الباحث أن الرثاء تطور تطوراً بارزاً في العصر الحديث من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين الميلادي إلى يومنا هذا. وقد تناولت المقالة عن قوة عاطفة الشاعر وأنها متسلسلة، وعباراته لاثقة ومناسبة لغرض الرثاء وأن أسلوبه يصدع القلوب القاسية، ويذيب العيون الجامدة. وأخيراً تعرضت لبنية الوزن والقافية. واختتمت بذكر الهوامش ثم المصادر والمراجع.

الهوامش

- ١- سورة الرحمان الآية ٢٦- ٢٧
- ٢- صحيح مسلم: كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته
- ٣- سورة البقرة الآية ٢٨١
- ٤- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب: دار الصادر للطباعة والنشر بيروت، ١٩٦٥. ص: ٣٥
- ٥- دار الصادر للطباعة والنشر بيروت، ١٩٦٥. ص: ٣٨
- ٦- أنيس إبراهيم: المعجم الوسيط، الجزء الأول الطبعة الثانية. بالقاهرة، ص ٣٥٣
- ٧- مرجع سبق ذكره. صفحة: ٩٤٩
- ٨- الخنساء: تماضر الديوان: المطبعة دار المعرفة بيروت لبنان. الطبعة الثالثة. صفحة: ١٧
- ٩- شوقي ضيف الدكتور: في الأدب والنقد، المطبعة دار المعارف، ١١١٩. صفحة: ٤٨
- ١٠- الخنساء: تماضر الديوان: مرجع سابق، صفحة: ٧٢
- ١١- ابن منظور: لسان العرب، المرجع السابق. الجزء ١٣ صفحة: ٤
- ١٢- غلادني شيخو أحمد سعيد (الدكتور): حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا. المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية، من سنة: ١٨٠٤-١٩٧٧م. صفحة ١١٢
- ١٣- الأستاذ نور عتيق: مقالة بعنوان ظاهرة التجديد في الشعر العربي النيجيري مرثي الشاعر عبدالرحمان بغاراوا نموذجاً. صفحة ٧.

- ١٤- أبوبكر آدم مساما (الدكتور)، والطيب زايد رايح (الدكتور): مقالة بعنوان فن الرثاء بين الأصالة والتجديد دراسة تحليلية لمراثي الشاعر النيجري إبراهيم جالو جالونغو. نشرت في مجلة بخت الرضا العلمية العدد الثالث عشر (ISSN 1858-6139) ديسمبر. ٢٠١٤ ملادية. صفحة: ١٦٤
- ١٥- _____: المرجع السابق. ص: ١٦٥
- ١٦- عبدالقادر ثاني (الدكتور): فن الرثاء لدي علماء مدينة غسو من سنة ١٩٤٧-١٩٩٧م بحث مقدم لقسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، للحصول علي درجة الماجستير في الدراسات العربية. ١٩٩٨م صفحة: ٧٦
- ١٧- مقابلة شخصية مع الشاعر محمد المصطفى بلاري في بيته، يوم الأحد: بتاريخ ٢٦/٩/٢٠١٦ الساعة التاسعة ليلا.
- ١٨- ديوان المسى: اليواقيت والمرجان في المراثي الحسان، مخطوط في مكتبة الشاعر الخاصة
- ١٩- الكاشاني عبد الرزاق (الأستاذ) معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم وتعليق، عبد العال شاهين الدكتور، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع القاهرة.
- ٢٠- سورة المائدة الآية: ٣٥
- ٢١- سورة التكوير الآية ٢-١
- ٢٢- سورة الفجر: الآية ٢١.
- ٢٣- القبرواني ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، لبنان ٢٠٠٨، ج: ١ صفحة: ١٤٧
- ٢٤- _____: العمدة في محاسن الشعر ونقده، باب الرثاء مرجع سابق. ص: ١٧٨
- ٢٥- سورة الزمر الآية ٤٢
- ٢٦- سورة المائدة الآية ٣٩
- ٢٧- سورة البقرة الآية ٢١٣
- ٢٨- فضل حسن عباس (الأستاذ الدكتور): البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار المفانس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثانية عشر، ص: ٩١-٩٣
- ٢٩- المرجع السابق ص: ٩٤-٩٦
- ٣٠- المرجع السابق ص: ٩٧-٩٨
- ٣١- محمود قحطان: العروض والقافية، دار الكتب العلمية مصر الطبعة الثانية سنة ٢٠١٤م صفحة ٢٣

٣٢- المرجع السابق ص: ٢٤

٣٣- أحمد أحمد بدوي (الدكتور): أسس النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٩٩م، صفحة: ٢٩٦-٢٩٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- صحيح مسلم
- الأدب المفرد
- الأندلسي أحمد بن محمد بن بن عبد ربه العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد ، دار الكتب العلمية ١٩٨٣ بيروت لبنان.
- الأستاذ نور عتيق: مقالة بعنوان ظاهرة التجديد في الشعر العربي النيجيري مرثي الشاعر عبدالرحمان بغاراوا نموذجاً. صفحة ٧.
- أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني تحقيق سمير جابر، دار الفكر بيروت: الطبعة الثانية. عدد الأجزاء: ٢٤
- أبوبكر آدم مساما (الدكتور)، والطيب زايد رابع (الدكتور): مقالة بعنوان فن الرثاء بين الأصالة والتجديد دراسة تحليلية لمراثي الشاعر النيجيري إبراهيم جالو جالغو.
- أنيس إبراهيم: المعجم الوسيط. الجزء الأول المطبوعة، دار التراث العربي، بيروت ٢٠٠٨.
- ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد بن محمد شاعر، الجزء الأول.
- القيرواني ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد النحوي: الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق الدكتور يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق المحامي فوزي عطوي، مطبعة دار صعب، بيروت الطبعة الأولى: ١٩٦٨
- طه حسين (الدكتور): في الشعر الجاهلي دار النشر الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٢٦م.
- عبد الباقي شعيب أغاك (الأستاذ الدكتور): مكتبة الدراسات النقدية فن النقائض في نيجيريا، الطبعة الثانية، غرة ربيع الأول ١٤٣٧هـ، ديسمبر ٢٠١٠م.
- عبدالقادر ثاني الأستاذ (الدكتور): فن الرثاء لدي علماء مدينة غسو من سنة ١٩٤٧-١٩٩٧م بحث مقدم

- لقسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، للحصول علي درجة الماجستير في الدراسات العربية. ١٩٩٨ م
- _____: مدرسة حزب الرحيم للشيخ محمد بلاري بن عبدالقادر الغسوي، مجلة اللغة العربية وآدابها والتعليم العالي في نيجيريا، الكتاب الأول، ٢٠١٥ م، المطبعة ألي الورن نيجيريا.
- عبد القاهر جرجاني (الإمام): أسرار البلاغة، شرح وتعليق دكتور محمد عبد المنعم خفاجي: مكتبة الإيمان بالمنصورة- أمام جامعة الأزهر، ت: ٢٢٥٧٨٨٢.
- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة:- البيان والمعاني والبيديع. طبعة جديدة منقحة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.
- غلادنفي شيغو أحمد سعود (الدكتور): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية، من سنة: ١٨٠٤-١٩٧٧ م. صفحة ١١٢
- محمود قحطان: العروض والقافية، دار الكتب العلمية مصر الطبعة الثانية سنة ٢٠١٤ م
- ناصر أحمد صكتو (الدكتور): ونور عتيق (الأستاذ): العاطفة الشعرية لدى الشيخ محمد بلاري: دراسة تحليلية لباننته في مدح الشيخ إبراهيم الكولخي.
- ناصر أحمد صكتو (الدكتور): الرثاء في همزيات الشاعر عبدالله جاتو دراسة تحليلية، الإشراق مجلة الدراسات العربية والإسلامية، Nigeria.october2010.keffi.Nasarawa state university